جامعة حلب
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الاتجاهات الحديثة في الدّرس البيانيّ للقرآن الكريم

Modern Approaches to study of Qur'anic Rhetorics

إعداد الطّالبة
إيمان عبد المنعم معاز

بإشراف الأستاذ الدكتور
عيسى علي العاكوب

١٤٣٢هـ
٢٠١١م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعات

المقدّمة

المدخل: إطلالةٌ على الدَّرس البيانيّ القرآنيّ ١-٢٩

- مفهوم الإعجاز والإعجاز البيانيّ للقرآن الكريم..... ١
- تقاربُ مفهوماتِ البلاغةِ والبيانِ والنَّظمِ..... ٨
- الدّرسُ البيانيُّ القرآنيّ والحاجةُ إليه..... ١٥
- العلومُ التي يحتاج إليها الدَّارس البيانيِّ..... ٢١

الفصل الأوّل: الدَّرسُ البيانيُّ القرآنيّ القديم أصولُهُ و أعلامُهُ ٣٠-٩١

أولًا: الأصولُ البعيدةُ للدَّرس البيانيّ للقرآن:

- الدَّرس البيانيُّ في صدر الإسلام..... ٣٠
- درسٌ بيانيٌّ للرّسول ﷺ..... ٣١
- درسٌ بيانيٌّ للصَّحابة ﷺ..... ٣٤
- الدَّرس البيانيّ في تفسير ابن عباس وشهرته..... ٣٧
- الدَّرس البيانيّ بعد ابن عباس (التَّابعين)..... ٣٩

ثانيًا : الدَّرس البيانيّ القرآنيّ في عصر التَّدوين:

- عوامل الاشتغال بالدِّراسات القرآنية..... ٤٢
- دور المعتزلة في الدَّرس البيانيّ..... ٤٦
- جهود اللغويين في الدَّرس البيانيّ..... ٤٩
  - أبو عبيدة (تـ٢١٠هـ)..... ٥٠
  - الفرّاء (تـ٢٠٧هـ)..... ٥٣

ثالثًا : أعلامُ الدَّرس البيانيّ القرآنيّ القدماء:

- الجاحظ (تـ٢٥٥هـ)..... ٥٧
- الرّماني (تـ٣٨٤هـ)..... ٦٣
- الخطابي(تـ٣٨٨هـ)..... ٦٧
- الباقلاني (تـ٤٠٣هـ)..... ٧٢
- الجرجاني(تـ٤٧١هـ)..... ٧٥
- الزمخشري (تـ٥٣٨هـ)..... ٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الدَّارسون البيانيون بعد الزمخشريّ..... ٨٤
خاتمة: نظرات في دراسات أعلام الدَّرس البيانيّ القدماء..... ٨٩

الفصل الثَّاني: مؤلَّفات الدَّرس البيانيّ القرآنيّ في العصر الحديث ٩٢-١٢٠
- نماء الدّرس البيانيّ في العصر الحديث..... ٩٢
- أصناف المؤلَّفات البيانيّة في العصر الحديث..... ٩٨
  - التَّفاسير البيانيّة الشَّاملة للقرآن الكريم..... ١٠٠
  - الدَّرس البيانيّ لسور معيَّنة من القرآن..... ١٠٥
  - الدَّرس البيانيّ لموضوع قرآنيّ معيَّن..... ١٠٧
  - الدِّراسات الفنّيّة (البلاغيّة والأدبيّة)..... ١١١
  - الدَّرس البيانيّ في مصنَّفات الإعجاز..... ١١٥

الفصل الثَّالث: أعلام الدّرس البيانيّ المُحدثون ومناهج درسهم ١٢١-١٩١
- الأستاذ سيد قطب والتَّصوير الفنّي..... ١٢٢
- الأستاذ مصطفى صادق الرّافعي والانسجام الصّوتي..... ١٣١
- الأستاذ أمين الخولي والمنهج الموضوعي..... ١٤١
- الدكتورة عائشة عبد الرحمن والمنهج اللغوي الإحصائي..... ١٤٧
- الدكتور عبد الله دراز والوحدة الموضوعيّة في القرآن..... ١٥٤
- الدكتور تمّام حسّان و المنهج اللغوي (التَّنظير والتّطبيق)..... ١٦٢
- الدكتور حسن طبل وظاهرة الالتفات في أسلوب القرآن..... ١٧٢
- الدكتور فاضل السَّامرائي والمنهج المقارن..... ١٨١

الفصل الرَّابع: الدَّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث في فضاء المفردة القرآنيّة ١٩٢-٢٤٥
- **تمهيد**..... ١٩٢
- **أهمية النَّظر في المفردات عند الدَّارسين**..... ١٩٤
- **ملاءمة المفردة القرآنيّة لسياقها من حيث مادتها:** ١٩٦
  - التَّرادف واستبعاده من القرآن..... ١٩٦
  - تأكيد الفروق في دراسات المُحدثين..... ١٩٩
- **ملاءمة المفردة القرآنيّة لسياقها من حيث هيئتها:** ٢٠٩
  - الاسميّة و الفعليّة..... ٢١٠
  - التَّعريف والتَّنكير..... ٢٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الإفراد والتَّثنية والجمع..... ٢٣٤
- التَّذكير والتَّأنيث..... ٢٤١

الفصل الخامس: الدَّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث في فضاء الجملة القرآنيّة ٢٤٦- ٢٨٨

- العدولُ وقيمتُه في الدَّرس البيانيّ للقرآن..... ٢٤٧
١- التَّقديم والتَّأخير..... ٢٤٩
٢- الحذف..... ٢٦٢
٣- أسلوب الالتفات..... ٢٨٠

الفصل السادس : الدَّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث في فضاء الجمل القرآنيّة (الأسلوب) ٢٨٩-٣٣١

- التَّرابط بين الآيات..... ٢٨٩
- التّكرار..... ٢٩٨
- الفواصل القرآنيّة..... ٣٠٥

- البحثُ في الصُّورِ الفنّيّة..... ٣١٣
- البحثُ في ألوان البديع..... ٣٢٧

موازنة وتقييم..... ٣٣٢-٣٤٦

الخاتمة..... ٣٤٦-٣٥١

فهرس الآيات القرآنية..... ٣٥٢-٣٧٤

فهرس الأحاديث الشَّريفة..... ٣٧٥

فهرس المصادر والمراجع..... ٣٧٦-٣٩٥

المقدمة باللغة الإنكليزية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المُقدِّمة

الحمدُ لله خالق الإنسان معلِّمه البيان، والصلاة والسلام على أفصحِ الخلق لساناً، وأبلغِهم بياناً، محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه الطَّيبين ومن تبع هداهم إلى يوم الدِّين. أما بعد:

فإنَّ من أحسن الكَلام ما تناولَ كلامَ الخالق العظيم جلَّ شأنه، وقد كثُرت الدِّراسات التي تناولت هذا الكلام العظيم وبحثت في الوجوه البيانيّة لإعجازه، إذ هو معجزةٌ بيانيّةٌ خالدة ظلَّت تتحدَّى الأبيناء وأهلَ اللَّسَن على امتداد العصور.

وقد بدا لي أن أبحثَ في هذا الجانب البيانيّ من جوانب الإعجاز القرآنيّ؛ لما قدَّمه من تأمَّلوه ودرسوه من بيانٍ لكثيرٍ من أسرارِ التَّركيب في التَّعبير القرآني. فهو جزءٌ من التَّفسير العامّ تنصبُّ فيه العناية على بيان أسرار التَّعبير من النَّواحي الفنّيّة كالتَّقديم والتَّأخير، والحذف والذِّكر، والتَّعريف والتَّنكير، وإيثار لفظةٍ على أخرى، وما إلى ذلك مما يتعلَّق بكمال المعنى المعتمد على خصائص التَّراكيب، مضافاً إلى ذلك كلُّ مجالي القوة البيانيّة القرآنية المعتمدة على معطيات ما عُرف فيما بعد بعلم البيان، والتَّحاسين المعنوية واللّفظية المعروفة في علم البديع. وكذلك ليكون هذا البحثُ دعوةً إلى وعي الجمالِ البيانيِّ القرآنيّ، دعوةً أُقدِّمها إلى متذوقي البيان القرآني والنَّص الأدبيّ على العموم.

وقد وقف غيرُ قليلٍ من أهلِ العلم منذ القديم جهودًا مضنيةً لتفسير القرآن الكريم بيانيًّا، وقدَّموا للمكتبةِ القرآنيّة أسفارًا ممتازة في هذا الميدان، ويكفي أن يذكرَ المرءُ منها آثار الرّماني (تـ٣٨٤هـ) والباقلاني (تـ٤٠٣هـ) وعبد القاهر الجرجاني (تـ٤٧١هـ) والزَّمخشري (تـ٥٣٨هـ) والفخر الرازي (تـ٦٠٦هـ) والبيضاوي (تـ٦٨٥هـ)...

وقد شهد العصرُ الحديث اهتمامًا بالغًا بالتَّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، وقُدِّمت إنجازاتٌ طيّبةٌ في هذا المجال، بحثت جوانب دقيقة من جوانب الإعجاز البيانيّ للقرآن باستقصاءٍ وتعمّق، بعد مرحلةٍ قلَّ فيها التَّصنيف البيانيّ القرآنيّ، وغلب عليه طابعُ التَّقليد والتّكرار.

وسعى هذا البحثُ إلى تقديم تصوّرٍ دقيقٍ وشاملٍ نسبيًّا للاتجاهاتِ الحديثةِ في الدَّرس البيانيّ للقرآن الكريم، سواءٌ في ذلك ما جاء في كتبِ التَّفسير المُتخصِّصة ككتب سيّد قطب، ومحمد علي الصَّابوني، وعبد الرحمن حبنّكة الميداني، وما جاء في كتبِ الدَّرس البيانيّ التي تناولت سورًا أو موضوعاتٍ قرآنيّة بعينها، إضافةً إلى ما وُجِد في دراساتٍ بلاغيّةٍ (أدبية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفنّيّة) خاصّة تناولت الآيات القرآنية تناولًا أدبيًّا، وتلمّست الكثيرَ من الأسرار البيانيّة القرآنيّة، وأقامتها على أصولٍ فنّيّة، وقدَّمت كشفًا بيانيًّا معمَّقًا.

فميدانُ الدَّرسِ البيانيّ كبيرٌ، ومجالُه زاخرٌ بالعلماء والباحثين، كلٌّ يحاول أن يقدِّم شمعةً صغيرة ينضمُّ ضياؤها إلى الأنوار المتلألئة لإظهار بلاغة القرآن واستجلاء أسرار إعجازه.

وقد اعتمد البحثُ المنهج الاستقرائي التَّحليلي الذي يقوم على استخلاص ما عُدَّ في الدَّرسِ البيانيّ الحديث أدلةً للإعجاز البيانيّ في القرآن وأسرارًا لبلاغةِ هذا الكتاب العزيز، وتصنيفها حسب مجال البحث البيانيّ ثمَّ تحليلها لتحديد الاتجاهات العامّة المشتركة واستخراج القيم البيانيّة الإعجازيّة من النَّص القرآنيّ في أحواله المختلفة كالتَّعريف والتَّنكير، والتَّقديم والتَّأخير، والحذف والذِّكر، والالتفات وغيرها. وإذا التقت الدِّراساتُ أو تشابهت كان لابدَّ من عقد المُقارنات بين الأشباه والنَّظائر؛ لنضع اليدَ على أنفسِ الجواهر في النَّصِّ القرآنيّ ونتبيَّن أدقَّ أسرارِ التَّعبير في القرآن؛ التي تدعو إلى الإقرارِ بروعة البيان القرآنيّ، وبتأدية أساليبه للمعاني المقصودة أقوى أداء، مُعتمدين على المصادر البلاغيّة الغنية بالحديث عن الظَّواهر التَّركيبيّة في القرآن الكريم، إضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع التي تنطوي على ما يحتاج إليه البحث من مراجع بلاغيّة، وأسلوبيّة، ونقديّة، وأدبيّة.

وقد قُسم البحث على مدخلٍ، وستةِ فصول، أعقبها موازنة وتقييم، ثمّ خاتمة تلخّص أهمَّ النَّتائج التي وصل إليها البحث.

المدخل بعنوان "**إطلالةٌ على الدَّرسِ البيانيِّ القرآنيّ**"، وقد اشتمل على توضيح مفهوم الإعجاز والإعجاز البيانيّ للقرآن، وعلى بيانِ تقارب مفهوماتِ البلاغة والبيان والنَّظم، ثم عرَّف الدَّرسَ البيانيّ مؤكِّدًا ضرورته والحاجة إليه، لينتقل بعدها إلى الحديث عن العلوم التي يحتاج إليها المتصدِّي للدَّرسِ البيانيِّ.

والفصل الأول بعنوان "**الدَّرس البيانيّ القرآنيّ القديم أصولُه وأعلامُه**"، وقد بحثَ في الأصولِ البعيدةِ للدَّرس البيانيّ، ورأى أنَّها ترجع إلى عصر صدر الإسلام؛ فالرسول ﷺ تناولَ بعضَ آياتِ الذِّكر الحكيم بالشَّرح والبيان، وعلى نهجه سار الصَّحابة والتَّابعون ﷺ، إذ راح بعضُهم يبيِّن معنى لفظةٍ أو آيةٍ، مما لم يجدوا بيانًا له من الرسول ﷺ ويجتهدون في آرائهم بناءً على معرفتهم العميقة بلغة العرب وطرائقها في التَّعبير. ثمَّ أعقبَ ذلك حديثٌ عن الدَّرسِ البيانيِّ في عصرِ التَّدوين أوضح كيف اتخذَ الدَّرسُ البيانيُّ في ذلك العصر مهمةَ الدِّفاع عن القرآن الكريم لنَفْي ما أثاره المشكِّكون من شكوك وأباطيل تتناولُ أساسًا مصدره الإلهيّ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمَّ كان حديثٌ عن أعلامِ الدَّرسِ البيانيّ القدماء من لغويين ومتكلّمين وبلاغيين وأدباء مقدِّرًا جهودهم التي نُظِرَ إليها على أنَّها حلقاتٌ في سلسلةٍ يُكمل بعضُها بعضًا، ويضيف بعضُها إلى بعضٍ، إلى أنْ وضَحت معالمُ طريق الدَّرس البيانيّ القرآنيّ، وبانت الخيوطُ الأساسية في نسيجه، وغدا منهجًا واضحًا.

وكان الفصلُ الثّاني بعنوان "**مؤلَّفات الدَّرس البيانيّ القرآنيّ في العصر الحديث**"، وقد بيَّن البحثُ في هذا الفصل نماء الدَّرس البيانيّ في العصرِ الحديثِ، وتوقَّف عند الأمور التي أدَّت إلى هذا النَّماء، ثم عرَّف بالمؤلَّفاتِ البيانيّة مُصنِّفًا إيَّاها تبعًا لنوع المؤلَّف.

ليأتي الفصل الثالث بعد ذلك فيتكلَّم على "**أعلام الدَّرس البيانيّ المُحدثين ومناهج درسهم**"، وقد انتقى البحثُ في هذا الفصل أبرزَ الدَّارسين البيانيين المُحدثين الذين كان لدرسهم صداه في الدِّراسات البيانيّة القرآنية، وكانت لهم آثارٌ واضحة في هذا الميدان. ويأتي في مقدمتهم سيّد قطب ومصطفى صادق الرَّافعي والدكتورة عائشة عبد الرحمن والدكتور فاضل السَّامرائي وغيرهم. وجاء ههنا حديثٌ عن مناهج درْسهم والاتجاهات العامّة التي حكمت جهودهم والموجهات الأساسية في كل اتجاه. ولا شكَّ في أنَّ لكلٍّ مزاياه وإسهاماته في إغناء المنهج البيانيّ وتوسيع آفاقه.

وحاولَ البحثُ بعد ذلك أن يلمَّ بمجالات البحثِ التي تناولها الدَّارسون المُحدثون للقرآن الكريم في تحليلهم النُّصوص القرآنيّة وفق المنهج البيانيّ؛ فكان الفصل الرابع بعنوان "**الدَّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث في فضاء المفردة القرآنيّة**"، وقد عني البحث فيه بالتَّفريق بين الألفاظ المُتقاربة الدّلالة في القرآن، وبيان القيم التَّعبيرية في صيَغ الكلمات القرآنيّة من اسميّةٍ وفعليّةٍ، وتعريفٍ وتنكيرٍ، وإفرادٍ وتثنيةٍ وجمعٍ، وتذكيرٍ وتأنيثٍ، ونحوها.

وكان الفصل الخامس بعنوان "**الدَّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث في فضاء الجملة القرآنيّة**"، وقد عُنِي هذا الفصلُ بدراسة بعض ظواهر العدول في البِنْيات الشكليّة للنَّص القرآنيّ و المعاني التي أدَّتها في القرآن، وهي التَّقديم والتَّأخير، والحذف، والالتفات.

وحمل الفصلُ السادس العنوان "**الدَّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث في فضاء الجمل القرآنيّة (الأسلوب)**"، وتركَّزت الدِّراسةُ فيه على التَّرابط بين الآيات، والتكرار، والفواصل القرآنية، فبيَّنت بعض دلالاتها من خلال الآيات القرآنيّة، إضافةً إلى البحث في الصور القرآنيّة وألوان البديع القرآني، وبيان أثرها في المعنى إضافةً إلى الأثر الفنّيّ الذي تركته.

وجاء بعد ذلك موازنةٌ وتقييم، الغايةُ منها أن يوازنَ البحثُ بين جهودِ دارسي البيان القرآنيّ قديمًا وحديثًا، ليبرز نواحي التَّقارب ونواحي الاختلاف في التَّناول البيانيّ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرآنيّ عند الدَّارسين القدماء والمُحدثين، ويبيّن مجالي التّكرار والإعادة في تناول المُحدثين، ويُظهر مواطن الجِدّة ونواحي الإبداع والإضافة في تناولهم، ويؤكِّد قابلية النَّص القرآنيّ نفسه لفتح آفاقٍ جديدةٍ للتناول البيانيّ يحسب المُتأمِّل أنَّها موجودةٌ بالقوّة في هذا المَتْن، ولا تحتاج إلَّا إلى قلوبٍ نُزِعت عنها أقفالُها، وأعينٍ تُبصر وآذانٍ تسمع.

وخُتمت الفصول الستة بخاتمة تلخِّص أهمّ النّتائج التي انتهى إليها البحث.

وبعدُ، فلا بدَّ في الختام من كلمةِ شكرٍ لكلِّ من أسدى إليّ معروفًا أو مدَّ إليّ يدَ العون أو شحذَ همَّتي وقوَّى عزيمتي؛ امتنانًا لهم وإجلالًا لفضلهم.

الشّكرُ قبل كلّ شُكر لمانح العقلِ والقدرة سبحانه، ثمَّ لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عيسى علي العاكوب أستاذِ البلاغة والنقد في جامعةِ حلب وعضوِ مجمع اللغة العربية الذي واكب رحلةَ بحثي موجّهًا ومرشدًا ومحدِّدًا لإطار البحث ومعالم طريقه، وقد بذلَ الغاية في التَّوجيه، فجزاه الله كلَّ خير، وبارك له بما تعلَّم وعلَّم، وأبقاه ذخرًا يستقي طلابُ العلم مما أفاض عليه المولى من علمٍ وسلوك.

وإنَّه حقٌّ معلومٌ عليّ أن أتقدَّم بجزيل الشكر للسادة الأساتذة أعضاء لجنة الحكم، الذين تفضَّلوا بقراءة البحث وتصويب أخطائه ليرقَوا به نحو الكمال:

- الأستاذ الدكتور أحمد محمّد قدور أستاذ علوم اللغة العربية في جامعة حلب وعضو مجمع اللغة العربية.
- السيّد الدكتور هيثم غرّة مدرّس البلاغة في جامعة دمشق.
- السيّد الدكتور أحمد محمّد ويس مدرّس نظرية الأدب في جامعة حلب.
- السيّد الدكتور سمير معلوف مدرّس البلاغة في جامعة البعث.

واللهَ سبحانه أسالُ أن يهديني سبلَ الرشاد، وأن يكونَ هذا البحثُ قد زوَّدني بعلم ومعرفة يكونان عونًا لي في دراسات أخرى.

والحمدُ لله الذي يسَّر وأعان

إيمان معاز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدخل

إطلالةٌ على الدَّرس البيانيِّ القرآنيّ

- مفهوم الإعجاز والإعجاز البيانيّ للقرآن الكريم:

- الإعجاز لغةً وشرعًا:

الإعجازُ لغةً إثباتُ العَجْز. والعَجْزُ هو القُصُور عن فِعْلِ الشيء. يُقال: عَجَز فلانٌ عن الأمر، إذا حاوله فلم يَسْتَطِعْه، ولم تَتَّسع له مقدرتُه وجهدُه[١]. و"معجزةُ النَّبي ﷺ: ما أعجزَ به الخَصْمَ عند التَّحَدِّي"[٢]. فالعجزُ ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز، ظهرت قدرةُ المُعجز، ووضحت المعجزة.

والمعجزة شرعًا: "أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرون بالتَّحدِّي، سالمٌ عن المعارضة"[٣].

وفي المعجم الوسيط: "المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادة يُظْهِرُهُ اللهُ على يد النّبي تأييدًا لنبوَّته وما يُعجز البشر أنْ يأتوا بمثله"[٤].

فالمهمُ في المعجزة أَنْ تفارقَ المعتادَ من أفعال النّاس، وأَنْ تتجاوزَه، وإِنْ كانت من جنس ما تعمل قدراتهم فيه.

---

١ – ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، نسَّقه وعلّق عليه علي شيري، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م : مادة عجز ج٩/٥٨.

٢ – الفيروزآبادي، مجد الدّين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق عبد الخالق السّيد عبد الخالق، ط/١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م: ص٤٤٢.

٣ – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تعليق د. مصطفى ديب البغا، ط/٤، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠ م: ج٢/ ١٠٠١. وسالمٌ عن المعارضة: أي يسلم عن أن يعارضه أحد ويأتي بمثله، بعد تحدّي المنكرين أن يأتوا بمثله، إن كانوا يزعمون أنّه من فعل البشر.

٤ – مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، أشرف على طبعه عبد السَّلام هارون، مطبعة مصر، ١٣٨١هـ–١٩٦١م: ج٢/٥٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعجزاتُ على ضربين: **ماديّة**، وهي التي تدركها الحواس وتشعر بها، و**معنويّة**، وهي التي ينفرد العقل بمخاطبتها وإدراكها. وقد أيَّد الله نبيه محمدًا ﷺ بمعجزات ماديّة كثيرة[١]، وخصَّه كذلك بالمعجزة التي تفرّدت بكونها معجزةً باقية خالدة، أقامت الحجّة وكانت آية الإعجاز والتَّحدّي، ألا وهي القرآن الكريم.

ولمّا كان القرآنُ الكريم معجزةَ الرسول ﷺ الباقية[٢] دون غيرها من المعجزات، ولمّا كان العربُ حينها قد بلغوا من الفصاحة والبيان ما بلغوه إذ كانوا كما يصفهم الجاحظ: "أكثرَ ما كانوا شاعرًا وخطيبًا، وأحكمَ ما كانوا لغة، وأشدَّ ما كانوا في البيان عُدّة، لهم القصيدُ العجيب، والرَّجَزُ الفاخر، والخطبُ الطّوالُ البليغةُ، والقصارُ الموجزةُ، ولهم الأسجاعُ والمزدوجُ واللفظُ المنثورُ"[٣]، لمّا كان الأمر كذلك كان القرآن أوّل ما كان بالنسبة لهم معجزة في البلاغة وروعة البيان.

فعلى الرّغم من أنّ البلاغة كانت السّمة المائزة للعرب، وعلى الرّغم من أنَّ القرآنَ نزل عليهم بلغتهم التي ألفوها، فقد عجزوا عن أن يأتوا بسورةٍ من مثله، رغم أنَّهم رأوا فيه ألفاظًا كتلك التي عرفوها، ووجدوا فيه عباراتٍ كتلك التي تكلَّموا بها، وتأمّلوا معانيه فما وجدوا فيها ما يبدو مختلفًا كبيرَ اختلافٍ عمّا تداولوه، ومع ذلك لم يستطيعوا، مع شدةِ حرص بلغائهم على معارضته كما سنرى، أَنْ يجاروه في بلاغتِه وروعةِ بيانه، بل أعياهم ذلك، فلم يملكوا إلَّا الاعتراف بالعجز عن معارضته أو مجاراته في البلاغة والبيان.

---

١ – من المعجزات الماديّة لسيدنا محمد ﷺ نبع الماء من بين أصابعه، وانشقاق القمر، وغيرها.

٢ – القرآنُ معجزة باقية لأنَّه معجزةٌ قائمة بذاتها، وليست كمعجزات الأنبياء السَّابقين والتي كانت مرتبطة بأشخاصهم ومتواءمة مع ما هو سائدٌ في زمن كلّ منهم فحسب؛ فمعجزةُ سيدنا موسى "العصا"، قد زال أثرها من الوجود بزواله، ومعجزة سيدنا عيسى عليه السلام كانت منوطة بشخصه كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى. يُنظر بتوسع التَّفريق بين المعجزات الماديّة والعقليّة: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج٢/١٠٠١-١٠٠٤.

٣ – الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، رسالة حجج النبوة، ضمن رسائل جمعها ونشرها السندوبي، ط/١، المطبعة الرّحمانية، مصر، ١٣٥٢هـ-١٩٣٣م: ص١٤٤ ويُنظر ما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- إعجاز القرآن البيانيّ :

إنَّ مناحيَ الإعجاز القرآنيّ متعدِّدةٌ متشعّبةٌ، ولكنَّ المُتتبّع لها ولما ورد عن العلماء من آراءٍ في هذا الصَّدد يجد أنَّه: "رغم اختلافِ مذاهب السَّلف من علماء المسلمين في بيان الإعجاز، وتعدُّدِ أقوالهم في وجوهه، لم يكن إعجازه البلاغيّ موضعَ جدلٍ أو خلاف قطّ، بل كانَ الجدلُ في اعتبارِه الوجه في الإعجاز، أو القولِ بوجوهٍ أُخرى معه[١]. وذلك لأنَّ الإعجازَ البيانيَّ هو سمةٌ بارزةٌ في القرآن الكريم بأكمله، أمَّا الأوجه الأخرى مثل أخبار الغيب، والإعجاز العلميّ، والإعجاز التَّشريعيّ وغيرها فربّما بدا الوجه منها في بعض الآيات ولاحَ غيره في غيرها وهكذا..[٢]، وفي هذا السِّياق يقول حازم القرطاجني: "وجه الإعجاز في القرآن من حيثُ استمرَّت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارًا لا توجد له فترة، ولا يقدِرُ عليه أحد من البشر"[٣].

فالعلماء أجمعوا على إعجاز القرآن البيانيّ، وهو إعجازٌ فرضَ وجودَه منذ أنْ تلا المصطفى، عليه الصَّلاة والسَّلام، في قومه ما تلقَّى من كلمات ربّه التي تحيَّرت العرب في أمرِها، فنسبتها حينًا إلى السّحر، وحينًا إلى الشّعر: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[٤]، ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾[٥]. وما ذلك إلّا لدهشَتهم من بلاغةِ هذا الكتاب، وشدّةِ تأثيره في النّفوس.

---

١ - عبد الرحمن، د. عائشة "بنت الشاطئ"، الإعجاز البياني للقرآن، ط/١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م : ص٦٩.

٢ - يُنظر عتر، د. نور الدين، علوم القرآن الكريم، ط/٦، مطبعة الصباح، دمشق، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م: ص٢٠٩.

٣ - القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البُلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط/٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م: ص٣٨٩.

٤ - سورة المدثر : ٢٤.

٥ - سورة الأنبياء : ٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ هذا الإحساسَ بتأثير القرآن الكريم والعجبَ من أسلوبه وبيانه وأفكاره، قد سيطر على مَنْ آمَنَ به، وعلى مَنْ ظلَّ على كفرِه وعنادِه؛ إمَّا تمسُّكًا بدين الآباء، وإمّا نضالًا عن أوضاعٍ دينيّةٍ واقتصاديّةٍ واجتماعيّةٍ لم يكن يريد لها أنْ تتغيرَ[١].

وتروي كتبُ السّيرة الكثيرَ من الأخبار عمَّن كان الإعجازُ البيانيُّ سببًا في إسلامهم كقصة إسلامِ عمرَ بن الخطاب، وكذلك في حديث بيعة العقبة[٢]، حيث كان الإعجازُ البيانيُّ سببًا في إسلام أُسَيد بن حُضَير ثمّ سعد بن معاذ ومن ورائه قومه بني عبد الأشهل. كما تُروى أقوالُ من تأثَّروا بالقرآن الكريم، وأقرُّوا بإعجازه، وإن استمرّوا على كفرِهم وعنادِهم، كالوليد بن المغيرة، وكان من أقدر النّاسِ على الإحساس ببلاغةِ الكلام والحكمِ عليه، إذ قال في القرآن قولته المشهورة "واللهِ إنَّ لقوله حلاوة، وإنَّ أصلَه لعَذْقٌ، وإنَّ فَرْعَهُ لجَنَاةٌ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلّا عُرِف أنّه باطلٌ"[٣]. ويريد بقوله: "وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا" ما أرادوا أن يصفوا به القرآن بأنّه سحرٌ، أو شعرٌ، أو أساطيرُ الأولين. فقد نفى الوليدُ عن القرآن كلّ هذه الصّفات، ولم يقل ذلك مختارًا ولا مؤمنًا بمحمّد ﷺ وبما جاء به من ربِّه بل هو الحقُّ، ظهر له فلم يطق كتمانه.

وكان من بعض معانديهم مَن يلذّ له استماعُ القرآن مُسترِقًا، ليُرضي فتنةَ نفسه بهذا الإعجاز البيانيّ، كما في قصة أبي سفيان بن حَرْب، وأبي جهل بن هشام، والأخنس

---

١ – يُنظر عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البيانيّ: ص٤٠.

٢ – ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، السِّيرة النَّبوية، حقَّقها وضبطها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث، بيروت–لبنان، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م: تُنظر القصة كاملة في"قصة إسلام عمر بن الخطّاب": ج١/٣٤٢–٣٤٣. و"قصة بيعة العقبة": ج٢/٤٣٥–٤٣٨.

٣ – تُنظر القصة كاملة في سيرة ابن هشام: ج١/٢٧٠–٢٧١. و تُنظر أيضًا في الجرجاني، عبد القاهر، الرّسالة الشّافية في الإعجاز، ملحق بـ "دلائل الإعجاز"، علَّق عليه محمود محمد شاكر، ط/٣، مطبعة المدني، القاهرة وجدة، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م: ص٥٨١ وما بعدها. و"العَذْقُ": النّخلة التي ثبتَ أصلُها، وطاب فرعُها إذا جُني. و(العَذْقُ)، رواية ابن إسحاق، وروى ابن هشام "إنَّ أصلَه لغَدِقٌ" و(الغَدِقُ): الرويّ المخصب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن شَرِيق[١]. فقد أقرَّ المشركون، على الرّغم من تحيّرهم في صفة القرآن الكريم، بأنّ له من السّلطان على عقولِهم وأفئدتِهم ما لم يعهدوا له شبيهًا إلّا في أُخْذَةِ السّحر ونفوذِ الشّعراء والكهّان.

وكانت صفةُ الشّعر أقربَ ما تعلَّقوا به، ذلك أنَّ الشّعرَ كان مجالَ تفوّق العرب، وميدانَهم إذا تجارَوْا في الفصاحة والبيان، لذلك حرص القرآنُ الكريم على أنْ ينفي عن المصطفى ﷺ هذه الشّاعريّة، لا ذمًّا للشعر كما ذهب الباقلاني في الفصلِ الذي عقده في "نَفْي الشّعر من القرآن"[٢]، ولكن لأنَّ الشّعرَ مَظِنَّةُ الالتباس بالمعجزة البيانيّة، نفاذًا في وجدان العربيّ وسلطانًا على فؤادِه وعقلِه ومكنون ضميره.

وأوّلُ ما نزل من ذلك آيةُ "يس" المكيّة: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ*لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٣] ونصُّ الآية صريح في تحديدِ صفة القرآن وبيانِ مَهمّته ورسالته، وليس إعلانًا عن موقفِ عداء للشعر. أمَّا الآياتُ المَدنيّة من سورة الشّعراء المكيّة: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ*أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ*وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[٤]، والتي يحتجُّ بها بعضُهم على ذمِّ الشّعر، فهي تتحدّث عن شيء من طبيعةِ الشّعراء والموقفِ منهم، وتبيّن أنَّ المقصودَ بالذَّمِّ، الشّعراءُ المشركون الذين يُخضِعون شعرَهم لنزواتِهم، ويهيمُون في أوديةِ الباطل، ويبتعدون عن الحقِّ. أمّا مَن سواهم من الشّعراء المؤمنين فقد استثناهم الذِّكر الحكيم من الحُكمِ السّابق لأنَّ الشّاعرَ المؤمنَ يعتقد ويعمل بمقتضى عقيدته، ويعمد بقوله لنصرة الحقّ

---

١ – للاطلاع على القصة كاملة يُنظر: سيرة ابن هشام، ج١/٣١٥-٣١٦.

٢ – يُنظر الباقلاني، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط/٣، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م: ص٥١ وما بعدها.

٣ – سورة يس : ٦٩-٧٠. ومن الآيات التي وردت في نفي كون القرآن شعرًا: [الصافات:٣٦-٣٧]، [الأنبياء: ٥]، [الطور: ٢٩-٣١]، [الحاقة: ٣٨-٤٣].

٤ – سورة الشعراء : ٢٢٤-٢٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **ابن كثير**، إسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط/١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- **ابن ماجه**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، ضبط نصَّها أحمد شمس الدين، ط/٢، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- **المبارك**، محمد:
  - **دراسة أدبيّة لنصوص من القرآن**، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م
  - **من منهل الأدب الخالد** "**دراسة تحليليّة أدبيّة لنصوص من القرآن**"، ط/٢، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.
- **مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط**، أشرف على طبعه عبد السَّلام هارون، مطبعة مصر، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.
- **المسدي**، د. عبد السلام، **الأسلوبيّة والأسلوب**، ط/٢، دار سعاد الصباح، ١٩٨٢م.
- **مسلم**، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحكيم، ط/١، مطابع دار البيان الحديثة، مكتبة الصَّفا، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- **مسلم**، د. مصطفى، **مباحث في إعجاز القرآن**، ط/٣، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- **المطعني**، د. عبد العظيم، **المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع** "**عرض وتحليل ونقد**"، ط/٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- **مطلوب**، د. أحمد، **معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها**، ط/٢، الناشر مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.
- **معاز**، إيمان، **قراءة جماليّة في آيات النار**، بحث ماجستير، جامعة حلب، ٢٠٠٧م.
- **ابن منظور**، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، نسَّقه وعلّق عليه علي شيري، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **أبو موسى**، د. محمد:

– **البلاغة القرآنيّة في تفسير الزمخشريّ وأثرها في الدِّراسات البلاغيّة**، ط/٢، دار التّضامن، القاهرة، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

– **خصائص التراكيب** "دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط/٣، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، (د. ت).

– **دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب**، ط/٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

- **الميداني**، عبد الرحمن حسن حبنّكة، **معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدبُّر**، ط/١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

- **النَّابلسي**، د. محمد راتب، **الإعجاز العلميّ في الكتاب والسّنة**، معهد جمعية الفتح الإسلامي، ٢٠٠٣م.

- **ناصف**، د. علي النجدي، **مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة**، ط/١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

- **نبهان**، د. عبد الإله، **بحوث في اللغة والنّحو والبلاغة**، ط/١، مطبعة اليمامة، حمص، سوريا، ١٩٩٥م.

- **ابن النّديم**، محمد بن إسحاق، **الفهرست**، المطبعة الرحمانية، مصر، (د. ت).

- **النَّسائي**، الإمام أحمد بن شعيب، **سنن النّسائي**، اعتنى به أحمد مستو، ط/١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٦م.

- **النَّسفي**، الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، (د. ت).

- **النّيسابوري**، الإمام نظام الدين الحسن بن محمد، **غرائب القرآن و رغائب الفرقان**، على هامش تفسير الطبري، ط/٢، دار المعرفة بيروت– لبنان، ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **الهاشمي**، السيّد أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
- **ابن هشام**، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، **السيرة النبويّة**، حققها وضبطها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- **هلال**، د. غنيمي، **النَّقد الأدبيّ الحديث**، ط/٢، دار العودة ودار الثقافة، بيروت ، ١٩٧٣م.
- **هنداوي**، د. عبد الحميد أحمد يوسف، **الإعجاز الصَّرفيّ في القرآن الكريم (دراسة نظريّة تطبيقيّة: التّوظيف البلاغيّ لصيغة الكلمة)**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- **وهبة** مجدي و**المهندس** كامل، **معجم مصطلحات العربيّة في اللغة والأدب**، ط/٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- **ويس**، د. أحمد محمّد، **الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة**، ط/١، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- **ياسوف**، د. أحمد زكريا:
  - **جماليّات المفردة القرآنيّة**، ط/٢، دار المكتبي، دمشق ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
  - **دراسات فنّيّة في القرآن الكريم**، ط/١، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
  - **الصورة الفنّيّة في الحديث النبويّ الشريف**، ط/٢، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- **اليافي**، د. نعيم:
  - **أوهاج الحداثة** "**دراسة في القصيدة العربية الحديثة**"، ط/١، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ١٩٩٣م.
  - **مقدمة لدراسة الصورة الفنّيّة**، ط/١، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢م.
- **يموت**، د. غازي، **علم أساليب البيان**، ط/١، دار الأصالة، بيروت-لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit